وبانيه للانتفاع به والصلاة هي التي تقيم الدين وترفعه وتنهى فاعلها للتحلية بمعالي القرب واستغراقه
في انوار الشهود والجهاد هو ذروة السنام لان ذروة الشيء اعلاه والجهاد اعلى انواع الطاعات
من حيث ان به يظهر الاسلام ويعلو على سائر الاديان وليس ذلك لغيره من العبادات فهو اعلاها
بهذا الاعتبار وان كان فيهما ما هو افضل منه وعلى هذا يحمل قول بعض الشراح الجهاد لا يقاومه شيء من الاعمال
ويؤيد ما ذكرته خبر انه يوزن مداد العلما ودم الشهدا يوم القيامة فيرجح مداد العلما على دم الشهدا
ومعلوم ان اعلا ما للشهيد دم وادنى ما للعالم مداده فاذا لم يف دم الشهيد بمداد العالم كان غير
الدم من سائر فنون الجهاد كلا شيء بالاضافة الى ما فوق المداد من فنون العلم واعلم انه صح انه
صلى الله عليه وسلم سئل اي الاعمال افضل فقال تارة الصلاة لاول وقتها وتارة انها الجهاد وتارة
بر الوالدين وحمل على اختلاف احوال السائلين فاجاب كلا بما هو الافضل بالنسبة لحاله واما الافضل على
الاطلاق بعد الشهادتين فهو الصلاة عندنا فنفلها افضل النوافل وفرضها افضل الفروض لما صح من
قوله صلى الله عليه وسلم الصلوة خير موضوع وفي رواية صحيحة ايضا واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة و
قيل افضلها الجهاد لهذا الحديث وحديث انهم قالوا يا رسول الله ما يعدل الجهاد فقال لا تطيقونه
ثم ذكروا سؤالهم فقال لا تطيقونه ثم قال ايستطيع احدكم ان يدخل بيتا فيصوم ولا يفطر ويصلي
ولا يفتر فقالوا لا فقال انما مثل المجاهد كمثل الصايم القايم الذي لا يفتر عن صلاة ولا صيام ورد
بان الحديث الذي نحن فيه لا شاهد فيه للافضلية المطلقة كما تقرر في معناه والا لزم ان الجهاد
افضل من الاسلام لانه ذروة السنام اعلاه الراس ولا قايل به وانما غاية الامر ان المفضول قد
يشتمل على مزية بل مزايا لا توجد في الفاضل اما الخبر الثاني فهو شاهد لافضلية الصلاة
والصوم على الجهاد لان المشبه به اعلى من المشبه ووجه رواية ابن ماجة السابقة ان
الجهاد مقرون بالهداية قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والهداية محصلة
لمقصود هذا السائل اذ يلزمها دخول الجنة والمباعدة من النار فكان الجهاد راس امر السائل
وعموده وذروة سنامه والكلام في المفاضلة بين فرضي عين او كفاية او نفلين
او بين فرض ونفل لا فرض المفضول افضل من نفل الفاضل وهذا محمل قول الامام الشافعي
رضي الله عنه الاشتغال بالعلم افضل من صلاة النافلة والكلام ايضا في عملين متقاربين
في المشقة كما يدل عليه قول ايمتنا المراد ان جنس الصلاة افضل من جنس الصوم او صرف
اكثر الزمن اليها افضل من صرف اكثره اليه لا ان صلاة ركعتين افضل من صوم يوم ثم قال
صلى الله عليه وسلم

٩٠

صلى الله عليه وسلم **الا اخبرك بملاك** بفتح الميم وكسرها **ذلك كله** اي بمقصوده وجماعه
او بما يقوم به بمعنى انه اذا وجد كانت تلك الاعمال كلها على غاية من الكمال ونهاية من صفا الاحوال
لانها غنيمة وكف اللسان عن الكلام سلامة وهي في نظر العقلا مقدمة على الغنيمة وفي هذا اشارة
الى ان جهاد النفس بقمعها عن الكلام فيما تردى بها وتؤذى بها اشق عليها من جهاد الكفار وان كان هذا هو
الجهاد الاصغر وذلك هو الجهاد الاكبر اذ منعها من هواها من اجل ما قاساه الانسان ومن
اعظم آدابها الصمت وترك الكلام فيما لا يعني ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا
قلت بلى يا رسول الله فاخذ صلى الله عليه وسلم **بلسانه** اي امسك لسان نفسه وهو يذكر و
يونث وقد يطلق على نفس الكلام مجازا كما في قوله تعالى الا بلسان قومه اي بلغتهم **ثم قال**
كف عليك اي عنك او نحو كف بمعنى احبس **هذا** اي من الشر للخبر السابق فليقل خيرا او ليصمت
وجمع بين امساكه وقوله ذلك مع انه كان يمكنه ان يقول كف عليك لسانك لان النفس بالحسيات اقوى منها
بالعقليات لتاخر زمن ادراك هذه عن زمن ادراك تلك فكان ذكر المعنى العقلي الجلي ثم تعقيبه
بالتمثيل الحسي ابلغ واوقع في النفس لما فيه من زيادة القوة بنقله من الخفا الى الظهور على اكمل
وجه وابلغه وهذا هو السبب في قول ابراهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام رب ارني كيف تحيي الموتى
قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي ليزداد قوة تحققه بمشاهدة المعقول عيانا اذ
عين اليقين اقوى من مجرد علمه ومن ثم كان قولك هذا الما والنار كيف يجتمعان ابلغ من قولك الما
والنار كيف يجتمعان لان الاشارة اليهما اوجبت للعقل زيادة شعور واستحضار لهما لا يوجد عنه
بمجرد ذكرهما من غير اشارة **قلت يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به** استفهام
استثبات وتعجب واستغراب ولا ينافي ما شاهده عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حقه اعلمكم بالحلال
والحرام معاذ لانه انما صار علمهم بالحلال والحرام بعد هذا السؤال وامثاله من انواع التعلم والاستفهام
والاستفادة او المراد بالحلال والحرام المعاملات الظاهرة بين الناس وهذا في معاملة العبد
مع ربه **فقال ثكلتك** اي فقدتك **امك** لفقدك ادراك المواخذة بذلك مع ظهوره عنا
وهذا مما غلب جريانه على السنتهم في المحاورات للتحريض على الشيء والتهييج اليه من غير ارادة حقيقة
معناه من الدعاء على المخاطب بموته كحلقى عقرى تربت يمينك **وهل** استفهام انكاري بمعنى النفي
~~وهو ماعيا كما~~ اي ما **يكب** هو بضم الكاف من النوادر لتعديه ثلاثيا ككبيت الشيء وقصوره
باعيا كاكب هو **الناس** اي اكثرهم اي يلقيهم **في النار على وجوههم او على مناخرهم الا**
حصـ

Copyright © King Saud University